

الرَّسَالَةُ الثَّالِثَةُ

التَّوْبَةُ

(Arabic - Repentance)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: التَّوْبَةِ

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الثالث عشر نقرأ الجزء الأخير من العدد الخامس:

"إِنْ لَمْ تَتُوبُوا.. فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ."

قد نشعر أحياناً مع توفر كل ما نحتاجه أنه لا سلام في داخل قلوبنا.. قد نسأل: لماذا؟! ليس من سبب إلا أنّ في أعماق القلب تستقر خطيئة لم نتب عنها.. إنها الخطيئة التي تعكّر صفو الحياة وتضفي عليها كآبة وضيق.. قد تتوفر لدينا كل الأسباب التي يراها الناس أنها العناصر الأساسية لبناء الحياة السعيدة.. ولكن خطيئة قد يُستهان بها إذا تمكنت من الاستقرار في أعماقنا كقيلة بهدم أكبر صرح للسعادة.. جميل أن تضمنا أسرة متحابّة.. ورائع الحصول على أعلى الشهادات العلميّة وامتياز أن ننبوأ أرفع المناصب وخير كل الخير أن يرزقنا الله بما يُقال عنه أنه زينة الحياة الدنيا من بنين وبنات ومال وفير.. إن هذه جميعها لو كانت من نصيبنا ولم نراع تحصينها من جرائم الخطيئة كانت هي بذاتها معول هدم ودمار.. ليس للفرد وحسب بل للأسرة كذلك وللمجتمع بأسره.

الخطيئة عار ودمار وهلاك للنفس البشرية.. الخطيئة تقيدنا حتى لو كنّا في نظر أنفسنا وفي نظر الناس أحراراً.. لقد قال الحكيم في أمثاله بالأصحاح السادس العدد السادس والعشرين: "لأنها طرحت كثيرين جرحي وكل قتلها اقوياء".. وجاء أيضاً عنها بسفر الأمثال الأصحاح الرابع عشر العدد الرابع والثلاثين ذلك النص: "البرُّ يرفع شأن الأمة وعارُ الشعوب الخطيئة". وليس من علاج لمن ابتلى بها إلا بالتوبة والرجوع إلى الله^١.

ما معنى التوبة؟ الإجابة بأبسط الكلمات هي تغيير الاتجاه.. ولقد ذكر لنا لوقا البشير في إنجيله الأصحاح الخامس عشر. قصة شاب اغواه الشيطان وأقنعه بأنه من حقه أن يعيش حياة أفضل في مدينة أخرى بعيداً عن بيت أبيه.. طلب من أبيه نصيبه من المال فأعطاه.. وهناك أنفق ماله بعيش مسرف مع أصدقاء السوء وأبتدأ يحتاج.. التصق بواحد من أهل تلك المدينة. فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير. ولقد كان يشتهي أن يملأ بطنه من طعام الخنازير فلم يعطه أحد.. إنّ كلّ مَنْ يندخ بحيل إبليس يجد نفسه أسيراً للشهوات العالميّة مقيداً بسلاسلها.. وسرعان ما يفقد ماله ونضارة شبابه وحرّيته وكرامته.. ولا يبقى له شيء إلا الذكريات الأليمة.

حدث يوماً أن عاد ذلك الشاب إلى رشده.. وتذكر العاملين الذين يستأجرهم أبوه وكيف يعيشون حياة أفضل لا تقارن بالمستوى الحقيّر الذي انحدر إليه.. فلقد كان يتمرغ في وحل الخطيئة في تلك المدينة.. رجع إلى نفسه قائلاً: "كم أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك. ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً.. اجعلني كأحد أجراك".. فقام في الحال عائداً إلى بيت أبيه^٢.

تأمل أخي في (كلمتين) من كلمات ذلك الشاب.. لقد فكر في نفسه فكراً صائباً!.. كما كان حكيماً إذ قام بتنفيذ ذلك الفكر السديد.. الكلمة الأولى: هي كلمة (أقوم) وهذا القرار كان يحتاجه. ثم الكلمة الثانية: (فقام) وجاء إلى أبيه. وهذا هو تنفيذ القرار. وبدونه لظلّ أسيراً لإبليس مستعبداً للخطيئة. وليس من أمل يُرتجى في حياة أفضل.

التوبة كما قلنا هي تغيير اتجاه الخاطيء.. ولتغيير الاتجاه نحتاج أولاً: إلى قرار حكيم نصل إليه.. وثانياً: إلى عزيمة قويّة لتصمد أمام سهام إبليس الملتهبة.. وهنا يلزمنا استخدام سلاح الله الكامل ضد قوات الشر

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل لوقا ١٣: ٥

^٢ سفر الأمثال ٦: ٢٦ & ١٤: ٣٤

^٣ إنجيل لوقا ١٥: ٢٠

الروحية.. وهذا مذكور برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس الأصحاح السادس.. حينئذٍ نذوق حلاوة الحرية الحقيقية في مجالاتها الثلاث: السلام مع الله.. والسلام مع النفس.. والسلام مع الناس حتى الأعداء.. إن الطريق الصحيح لذلك السلام هو التوبة عن الخطية.. ويضلّ الطريق الذين يظنون أنّ لها بدائل.. مَنْ ظنّوا أنّهم يرضون الله بممارسة أعمال برّهم الذاتي كالصوم والصلاة ودفع العشور من أموالهم لكنائس وبناء مستشفيات وملاجئ للعجزة والأيتام.. وأنّ الله يتجاوز بذلك عن خطاياهم.. حسبوها غطاءً كافياً ساتراً لما يرتكبون من خطايا بأعمالهم الصالحة.. وهم ما زالوا باقين فيها يمارسونها سرّاً أو جهراً!.. والحقيقة أنّهم يخدرون ضمائرهم بتلك الممارسات.

لقد تحمّل الرب يسوع قصاص خطايانا بسفك دمه الطاهر من أجلنا كبديل.. وليس من طريق سواه كي ننال غفراناً لخطايانا وصفحاً عن ذنوبنا وتجديداً لقلوبنا ليسكن فيها الروح القدس.. وننال بنويّة الله وسعادة أبدية في السماء مع الملائكة الأطهار والقديسين الأبرار.. إنّ الأعمال الصالحة هي الثمر الطبيعي لسكنى الروح القدس فينا إذا سلكتنا طريق التوبة الحقيقية وحفظنا أنفسنا بلا دنس من العالم.. ورجعنا إلى الله بكل القلب وقبلنا ما عمله المسيح من أجلنا على الصليب.. إنّ الأعمال الصالحة لازمة وضرورية ولكن ليست وسيلة لنكسب بها رضا الله.¹

إنّنا نخدع نفوسنا وليس الله إذا حاولنا خلط الإثم مع البر.. فلقد جاء قول الله بسفر إشعياء بالأصحاح الأوّل العدد الثالث عشر هذا النصّ: "لست أطيع الإثم والاعتكاف".. بمعنى أنّ الله لا يقبل أنّ نمارس عبادتنا له مع استمرارنا في خطايانا.. ويوجه الربّ حديثه إلى تلك العيّنّة من البشر الذين يخلطون الإثم بالاعتكاف على الصلاة قائلاً: "فحين تبسطون أيديكم أستر عينيّ عنكم.. وإنّ كثرت الصلاة لا أسمع".. ثم يبيّن الطريق الصحيح قائلاً: "اغسلوا تنقوا.. اعزلوا شرّ أفعالكم من أمام عينيّ.. كفوا عن فعل الشرّ.. تعلموا فعل الخير".²

أخي القارئ العزيز.. إنّ أخباراً سارة يعلنها الكتاب المقدس.. إذ مكتوب: "اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول فإنّ سمعت صوتي فلا تقسو قلوبكم".. عزيزي: مَنْ مَنّا يعلم متى تنتهي حياته على الأرض؟! لا أحد فينا. ولكن كلنا يعلم تلك الحقيقة التي لا شكّ فيها: أنّنا سنترك العالم.. وسيأتي ذلك اليوم الذي "سنعطى فيه حساباً عن كل ما فعلناه بالجسد خيراً كان أم شراً". ليس من الحكمة أنّ نتجاهل صوت الروح القدس مبكراً إنّنا على خطايانا. فهو برفق يقودنا إلى التوبة كما أنّه يؤيدنا بقوةٍ علويّة حتى لا نكون فريسة للشيطان. فإذا استجبتنا لصوت الروح القدس وانفصلنا عن الشرّ والأشرار سيقبل الله توبتنا.. وتكون لنا شركة دائمة معه ونحيا به منتصرين.³

أمّا الذين لا يستجيبون لصوت الروح القدس وهو يدعوهم إلى التوبة.. فليسمع تحذيراً جاء برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية الأصحاح الثاني إذ يقول: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته.. غير عالم أنّ لطف الله إنّما يقتادك إلى التوبة.. ولكن من أجل قساوتك وقلبك غير التائب.. تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب.. واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.. فلننتبّ عن معاصينا ونرجع إلى الله.. ولقد جاء بسفر أعمال الرسل الأصحاح الثالث قول بطرس الرسول: "فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب".. إنّنا بالتوبة والرجوع إلى الله نحصل على السعادة الحقيقية ونتمتع بسلام الله الذي يفوق كل عقل.. ليتنا نعزم على التوبة الآن ولنأت إلى الله بانكسار وخشوع.. طالبين رحمته وغفرانه.⁴

أدعوك أخي لتتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك من أجل دعوتك لخطائي نظيري كي أتوب "متغاضياً عن أزمة جهلي". ها أنا أتى إليك معترفاً بأنني "لست مستحقاً" أنّ أمثلي بين يديك ولكنّي أعلم أنّك أحببتني.. لذا أرسلت الابن الحبيب ربنا يسوع المسيح ليُصلب من أجلي على صليب العار.. أعلن أمام جلالك توبتي فاقبلني ربّي راجعاً إليك نادماً على عصياني وعدم طاعتي.. "ارحمني أنا عبدك الخاطيء".. أرفع صلاتي في اسم مَنْ فداني.. وأشكرك لأنك سمعت واستجبت لي.. فوعدك صادقاً إذ قلت: مَنْ يقبلني إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إنّ أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ رسالة يعقوب ١: ٢٧ ، سفر أعمال الرسل ٤: ١٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٥: ٢٢

² سفر إشعياء ١: ١١ - ٢٠

³ الرسالة إلى العبرانيين ٣: ٧ - ٨ ، إنجيل يوحنا ١٦: ٨

⁴ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٢: ٤ - ٦ ، سفر أعمال الرسل ٣: ١٩